

تفسير أبي السعود

البقرة 10 .

الكفرة وإياها كان فنسبته إلى الله سبحانه أما على طريق الاستعارة والتمثيل لإفادة كمال
شناعة جنايتهم أي يعاملون معاملة الخادعين وأما على طريقة المجاز العقلي بأن ينسب إليه
تعالى ما حقه أن ينسب إلى الرسول أبانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى أن
الذين يبائعونك إنما يبائعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع
الله مع أفادة كمال الشناعة كما مر وأما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته إلى
الذين آمنوا والإيذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله أحق أن
يرضوه وقوله تعالى أن الذين يؤذون الله ورسوله وأبقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي
بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كأنه قيل يزعمون أنهم يخدعون الله
والله يخدعهم أو على جعلها استعارة تبعية أو تمثيلا لما أن صورة صنعهم مع الله تعالى
والمؤمنين وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام الإسلام عليهم وهم عنده أخبث الكفرة وأهل الدرك
الأسفل من النار أستدرجا لهم وأمثال الرسول والمؤمنين بأمر الله تعالى في ذلك مجازاة
لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم أما الأول فلأن
المنافقين لو اعتقدوا أن الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع
وأما الثاني فلأن مقتضى المقام إيراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة
المستهجنة وبيان غائلتها آيلة إليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله D .
وما يخدعون إلا أنفسهم فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من
ضمير يخادعون أي يفعلون ما يفعلون والحال أنهم ما يضررون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة
فعلهم مقصورة عليهم أو ما يخدعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يغرونها بالأكاذيب فيلقونها في
مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما
يعلمون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها لا يحق إلا بهم أو
ما يخادعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل وهي أيضا تغرهم وتمنيهم الأمانى
الفارغة وقرئ وما يخادعون من التخييع وما يخدعون أي يختدعون ويخدعون ويخادعون على
البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لأن
نفس الحي به وللقلب أيضا لأنه محل الروح أو متعلقة وللدن أيضا لأن قوامها به وللماء أيضا
لشدة حاجتها إليه والمراد هنا هو المعنى الأول لأن المقصود بيان إن ضرر مخادعتهم راجع
إليهم لا يتخطاهم إلى غيرهم وقوله تعالى .

وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون أي يقتصرون على خدع أنفسهم والحال إنهم ما يشعرون أي ما يحسون بذلك لتماديتهم في الغواية وحذف المفعول إما لظهوره أو لعمومه أي ما يشعرون بشيء أصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الأمر المحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس مختل المشاعر .

في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في أفاعيله ويؤدي الى الموت أستعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي